مظاهر التجديد في البنية الزمنية للرواية الجزائرية المعاصرة
رواية "دموع وشموع" لعبد الجليل مرتاض نموذجا

الطالب: عبد القادر سي أحمد
الأستاذ المشرف: د. عبدالقادر مزاري -المدرسة العليا للأساتذة-
جامعة عبدالحميد بن باديس – مستغانم
البريد الالكتروني:siahmed-48@outlook.fr

الملخص:

لقد مرّت الرواية الجزائرية المعاصرة بعدة مراحل حتى وصلت إلى ماهي عليه من حيث الكم والنوع، فقد انتقلت من مرحلة التقليد التي أسهم فيها عامل المثاقفة الغربية في تأسيسها، إلى مرحلة التحول التي ركّز فيها أصحبها على الواقعية والواقعية النقدية، ثم وصلت إلى مرحلة التجديد التي يسعى فيها أصحابها إلى الانزياح عن الأشكال الفنية المعهودة والتمرد على نمطية الكتابة السردية التقليدية، كونها نمط يقيد من الكتابة الروائية، فأصحاب هذا الاتجاه –اتجاه التجديد– يسعون إلى تحقيق المغايرة في المتن والبنية والشكل وأنساق اللغة والخطاب، متجاوزين بذلك الشكل الهرمي لبنية الأحداث : مقدمة–عقدة–حل– وإنما للتقطيع والتداخل بين المستويات السردية.

وعليه، فماهي مظاهر التجديد في البنية الزمنية في رواية "دموع وشموع" لعبد الجليل مرتاض؟

الكلمات المفتاحية: القصة ; السرد ; الزمن ; زمن القصة ; زمن السرد ;المفارقة الزمنية ; الاستباق ; الاسترجاع ; المشهد ; الوقفة ; الخلاصة ; الحذف.

Cure De Jouvence Dans La Structure Du Temps Du Roman Contemporain, Un Roman « Les Larmes Et Candles» Pour Abdul Jalil Mortad

Résumé:

Roman contemporain algérien ont passé par plusieurs étapes jusqu'à ce qu'il atteigne ce qu'il est en termes de quantité et de qualité, elle a déplacé de l'étape de la tradition où le facteur d'acculturation occidentale a contribué à la fondation, à la phase de transition dans laquelle les propriétaires ont porté sur le réalisme et la trésorerie réalisme, puis elle est arrivé au stade de renouvellement où les propriétaires cherchent à dériver toutes les formes d'art d'habitude et se rebeller contre l'écriture narrative traditionnelle typique, étant un modèle restreint de l'écriture de fiction, les détenteurs de cette direction - la direction de renouvellement - cherchent à obtenir le contraire dans le texte, la structure, la forme et les caractéristiques de la langue et de la parole, contournant ainsi la forme pyramidale de la structure d'événements: (Présentation, problématique, solution), mais pour la coupe et le chevauchement entre les niveaux narratifs

Par conséquent, ce sont les manifestations de l'innovation dans la structure du temps dans le roman "Les larmes et Candles" à Abdul Jalil Mortad **.**

Les mots clés : Histoire –Narration-Temp- T. histoire-T.raconte- An achronie temporelle-Prolepses- Annalepses- Scène- Pause- Sommaire-Ellipse.

تمهيد: تأخر ظهور الرواية العربية الجزائرية الناضجة فنيا بالقياس إلى مثيلاتها في المشرق العربي، غير أنها قد حققت انجازات معتبرة من حيث الكم والنوع، مما أهلها بأن تكون مكوناتها السردية المختلف – الشخصية – الزمان– المكان– محل اهتمام النقاد والدارسين، وسنحاول في هذه العجالة دراسة الزمن الذي يعد من أعقد التقنيات المشكلة للخطاب الروائي، والرواية جنس أدبي "ليست مجرّد للواقع، بل هي ككل الأعمال الفنية مغالبة للزمن، نستشف من خلالها ما نبتغيه من فضل وجمال لعالم الغد كما نريده أن يكون"[1]، فهي ليست صورة لما هو كائن فحسب بل تطمح بأن تصور لنا ما يجب أن يكون، كما "أن الزمن يمثل عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القص، فان كان الأدب يعتبر فنا زمنيا، فان القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن"[2]، وليس المقصود بالزمن هذه السنوات والشهور والأيام والساعات والدقائق أو الفصول والليل والنهار، بل هو "هذه المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة وحيز كل فعل وكل حركة، بل إنها لبعض لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها ومظاهرها وسلوكها "[3]، فكل ما هو مجرد غير قابل للقياس والزمن كذلك، فقياس الزمن زقبئي ولا يمكن الإمساك به، فلكل إنسان مفهومه الخاص للزمن، ذلك أن الإحساس بالزمن يختلف من شخص إلى آخر، كونه مرتبط بالبعد الثقافي والحضاري والديني ...، فهو من الناحية الفلسفية "امتداد غير مرئي، يحس به الإنسان دون أن يمرّ عبر حواسه، يحاربه أو يهرب منه، يرهبه دون أن يعرفه، إنه فعل مشوب بالغموض"[4]، فالزمن يشكل هاجسا للإنسان مهما كان وضعه، لأنه لا يمكن إدراك كنهه باعتباره شيء مجرد غير ملموس ماديا، مما يجعل الإنسان يهابه لاتصافه بالضبابية والغموض، لكن من الناحية الفنية فالزمن يشمل جميع أشكال الخطابات على اختلافها، كما "يمكن اعتبار الزمن العنصر الأساسي المميز للنصوص الحكائية بشكل عام، لا باعتبارها الشكل التعبيري القائم على سرد أحداث تقع في الزمن فقط ودلالاتها كذلك فعل تلفظي يخضع الأحداث والوقائع المروية لتول زمني، وإنما لكونها بالإضافة لهذا وذاك تداخلا وتفاعلا بين مستويات زمنية متعددة ومختلفة، منها ماهو خارجي Externe ومنها ماهو داخلي Interne نصي محض."[5]، لذلك فان زمن الحكي هو أكثر الأشكال الزمنية صعوبة لفهمه، فهو قضية شائكة مستعصية الحل، متلون يصعب الإمساك به، إلاّ أنه في الرواية "يلعب دورا يشبه كثيرا ذلك الذي يلعبه اللون في اللوحة الزيتية فهو يعطي للحدث صيغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه، وتضفي على الجو العام له ظلالا، توحي بأبعاد دلالية، تسمح لها حدود التأويل"[6]، مما جعله– الزمن الروائي– يعنى بكثير من الدراسات سواء كانت عربية أو غربية إلا أنها لم تعطنا مفهوما محددا له، غير أن **الدكتور الشريف حبيلة** يرى أن خير تعريف للزمن الروائي هو ذلك التعريف الذي قدمه "**نعيم عطية**"في دراسته" دلالة الزمن في الرواية الحديثة، "إن الزمن الروائي باعتباره عملا أدبيا أداته الوحيدة هي اللغة، يبدأ بكلمة وينتهي بكلمة وبين كلمة البداية وكلمة النهاية يدور الزمن الروائي، أما قبل كلمة البداية وبعد كلمة النهاية فليس للزمن الروائي وجود، لذلك كان لدراسة الزمن في الرواية عدة جوانب، فأحد هذه الجوانب يتمثل في أن الرواية فن يتم تذوقه تحت قانون الزمن، إذ أن استيعاب عمل أدبي لا يكون لحظيا أو آنيا مثل تأثير العمل التشكيلي، وإذا بحثنا عن السبب في ذلك الامتداد الذي يستغرقه الإعجاب بالعمل الأدبي فسنجده في طبيعة الأداة التي يستخدمها الروائي ذاتها ألا وهي اللغة، إذ أن رص الكلمات بعضها إلى جوار بعض يتضمن فكرة الحركة والتتابع والصيرورة "[7]، وبمأن التأثيث الوحيد للرواية هو اللغة، وعندما ننتقل من عالم مبني بالماديات إلى عالم مبني ومؤثث بالكلمات، فان الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد أن ترتب وفق البناء الروائي تتابعيا، لأن عملية الحكي تخلخل النظام

التراتبي الطبيعي للقصة، وبالتالي لا نستطيع أن ننطق عدة كلمات دفعة واحدة لذلك فنحن مجبورين على أن نكون خاضعين لخطية اللغة، ذلك أن "الزمن الأدبي هو الذي يسهم في بنية النص الأدبي وهو زمن يصنعه المبدع مخالفا به الزمن الطبيعي الذي لا يخرج عن تلك الخطية المعهودة"[8]، ومن هذا المنطلق لا بد أن نميز بين زمنين في كل رواية، زمن القصة وزمن السرد.

– **زمن القصة** : هو زمن يخضع بالضرورة لتتابع المنطقي للأحداث .

– **زمن السرد** : هو زمن لا يتقيد بالتتابع المنطقي للأحداث[9]

وعليه فإن عملية الحكي (السرد) تتيح للروائي إمكانيات واحتمالات متعددة لإعادة كتابة القصة، ذلك أن القصة الواحدة يمكن أن تروى بطرق متعددة ومختلفة، وعليه فإن عملية الحكي(السرد) تخلخل النظام التراتبي الطبيعي، أي أنه كما حدث في الواقع لزمن القصة وهو ما يجعل القارئ أمام مفارقات زمنية تتجلى من خلال مختلف أشكال التفاوت بين الترتيب في القصة والترتيب في الحكي (السرد)، و هو ما يمكن أن نمثله في الشكل التالي :[10]

زمن القصة ا ب ج د

المفارقات الزمنية زمن السـرد **جَ بَ أ دَ**

وتحدث المفارقة الزمنية عندما يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة و عليه فإن أي مفارقة زمنية إما أن تكون استرجاعا لأحداث ماضية أو استباق لأحداث باقية لاحقة[11]، فطبيعة الكتابة الأدبية الفنية تستلزم ترتيبا مغايرا تستلزمه خاصية العمل الفني المبنية على عملية التقديم (الاستباق) و التأخير (الاسترجاع)، أي بمعنى تباين الواقع الطبيعي مع الواقع الإبداعي الفني، ومن ثمة يمكننا أن نميز بين زمنين في كل رواية: زمن القصة و زمن السرد ويمكننا أن نحدد ذلك التمايز حسب المخطط التالي:[12]

ب ج. استباق

جَ أَ. استرجاع

فالاستباق والاسترجاع كلاهما يشترك في كسر خطية الزمن، وحتى يتمكن الكاتب بممارسة هذه التقنية فلا بد أن تكون هناك نقطة انطلاق يبدأ منها الروائي، أو هي الافتتاحية التي يسعى من خلالها الكاتب"إلى تقديم معلومات تكون بمثابة مفتاح تساعد القارئ على متابعة السرد وفهم الأحداث ومن ثم اكتساب هذه التقنية وظيفة هدفها القارئ يدخله عالما مجهولا من صنع المبدع يتمكن بها من إصدار استنتاجاته أثناء القراءة وبعدها"[13]، وعبد الجليل مرتاض لم يشذ عن هذه القاعدة، فإن نقطة الانطلاق يستشفها القارئ في بداية الرواية والتي تعد زمن الحاضر وهي وصف الوعدة السنوية للولي الصالح "سيدي الجيلالي" "**الخيل، البارود، سباق القوم،...الكسكس بالزبدة والعسل المصفى...الغايطة، البندير...البائعون المشترون، هذه هي الوعدة السنوية للولي الصالح سيدي الجيلالي** " ثم بعد هذا الوصف مباشرة يقول الراوي – البطل "**انفض الناس، فانفضضت مع المنفضين و قفلت رائحا، وجدت نفسي هكذا أجوب شعابا ضيقة** ..."[14] فبعد وصف الوعدة السنوية للولي الصالح سيدي الجيلالي تبدأ أحداث الرواية عندما ينفض البطل

مع المنفضين ويهم بالعودة إلى الدار، وهو يتصارع مع المكان – طريق العودة – كون أن هذا الأخير وعر شعابا ضيقة وسط أدغال متعانقة، فالكاتب استطاع أن يعرض في الافتتاحية أحداثا امتدت في الماضي حتى الثورة التحريرية، بذكره رموز تلك المرحلة، "...**أف لك يا ديغول و لمنجمك الرائد موريس فاسيه**"[15]، بل تتجاوز ذلك إلى ما قبل الميلاد عندما ذكر آلهة اليونان والإغريق، باخوس وأفروديتا، زيوس، آريس[16]، هذا التكثيف للزمن في إطار زمني ضيق و مساحة صغيرة لا تتجاوز السبع صفحات، ساق الكاتب افتتاحيته ليضع القارئ أمام واقع الرواية دون التخلي عنه، بهذا المقطع من الرواية تتضح المفارقات الزمنية حيث يبدأ بالحاضر نحو المستقبل ثم يعود إلى الماضي، ثم يرجع إلى النقطة التي انطلق منها وهي الحاضر نحو قوله: "**خيل ، بارود، سباق القوم.... انتفضت انتفاضة واحدة...**"[17]، وبالتالي يكون السرد بهذا الشكل: حاضر – مستقبل– ماضي– حاضر، كما يغلب على الافتتاحية المنولوج والوصف والحوار، يريد به الكاتب كشف شخصية سمير بطل الرواية، الذي يعود وهو ذاته والجني الذي مسه إلى ماضيه وإلى كيفية التعامل مع الحاضر، لذلك غلب على الافتتاحية الزمن الماضي بينما انحصر الحاضر في الحوارات الخاصة مع الجني وسمير والفقيه ونورة زوجة سمير، وبين بداية ونهاية الافتتاحية يبسط الكاتب مكان أحداث الرواية، و يتولى هذه المهمة إما الكاتب أو يترك الدور لأحد شخصياته لتقوم بذلك، نحو قول الفقيه لنورة زوجة سمير عندما أراد أن يعرفها بأصل الجني الذي مس زوجها: "**جاؤوا مع الفاتحين منذ أن وطأت قدم الصحابي الجليل سيدنا أبي المهاجر رضي الله عنه ضواحي تلمسان...حذري ولديك من الذهاب ليلا إلى عيون أبي المهاجر**"[18]، فبذكر وعدة الولي الصالح سيدي الجيلالي وكذا مدينة تلمسان، فإن الكاتب قد هيأ القارئ للمكان الذي ستتفاعل فيه الأحداث كما أن الافتتاحية لا تخلو من الحوار حيث تمارس عن طريقه الشخصيات حضورها الحي يمنحها الحياة ،ويوهم القارئ بواقعيتها ،نحو الحوار الذي دار بين الفقيه سي علي ونورة زوجة سمير:

–هل سمعته يقرأشيئا من القرآن قبل حضوري؟

–بلى

–وأي شيء كان يقرأ

–قوله تعالى:"بل تؤثرون...."

–فقط

–أجل

–إن زوجك يا سيدتي مسكون بجان مارد كافر.[19]

المفارقات الزمنية: تحدث كما ذكرنا سابقا عندما يخالف الراوي زمن السرد ترتيب أحداث القصة سواء بتقديم حدث على آخر، واسترجاع حدث أو استباق حدث قبل وقوعه، "فالكاتب لا يكتفي بتغيير اتجاه الزمن من الحاضر إلى الماضي، وإنما يقوم بتعديل اتجاه السرد من السرد النمطي الخطي إلى سرد متكسِّر أو متقاطع يخالف فيه توقعات القارئ"[20] وعليه فإن المفارقة الزمنية إما أن تكون استرجاعا Analyse لأحداث ماضية، لحظة الحاضر، أواستباقا Prolepse لأحداث لاحقة.

الاسترجـــــاع: توظف هذه التقنية لاسترجاع أحداثا ماضية عن الحدث الذي يحكى في الحاضر و"يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها"[21]

وفي رواية الحال فقد وظّف عبد الجليل مرتاض منولوجا يتذكر فيه سمير البطل موقف أبوه من الهجرة إلى الشمال والحرب آنذاك حرب إبادة زمن الثورة وكذا موقف نورة زوجته وأبوها من هجرة قريتهما والبقاء فيها، في عز الثورة أيضا، ويتذكر كذلك عرض سارة بالهجرة إلى الشمال زمن العشرية الدموية.حيث يحدث سمير نفسه ويحثها على البقاء في الوطن :"**والدي لم يهجر قريته والجزائر محتلة، والحرب الإبادية قائمة ،فكيف يرحل ولده اليوم، والجزائر مستقلة،بعد ثلاثين سنة، والحرب واضعة أوزارها..؟**"[22]، يتفكر البطل في هذا المقطع موقف أبيه من الهجرة، وتتداعى الأفكار لديه كاشفة اهتمامات سمير وطموحاته من أجل البقاء في الوطن ويسترسل البطل في تداعياته حتى يصل إلى نورة الطفلة وأبوها الرجل الثوري، حين يحدث نفسه"**نورة التي عز عليها أن تهجر قريتها إثر معركة شرسة بين الثوار والمحتل وهي لاتبرح طفلة صغيرة...لكنها فخورة،لأن أباها تحوّل بين عشية وضحاها من فقيه درار إلى رجل ثوري**"[23]، وقد وظف الكاتب تقنية الاسترجاع ليبرز أغوار البطل، إذ يبدو أن أباه، كأنه جزء من ماضيه إنه نموذج البطولة والثبات بالنسبة لسمير، لذا فهو يحمله في داخله ويقارن حاله بحاله، وفي الوقت نفسه يبحث عن وسيلة كي يصير بها بطلا مثله، فالاسترجاع هنا وإن عرض أحداثا ماضية وتاريخ بعض الشخصيات، إنما جاء لتقديم شخصية سمير مقابلا إياها بباقي الشخصيات، لأنها تشاركه في حال واحدة البطولة والثبات وهو مايطمح إليه سمير، ليكون بطلا في العشرية الحمراء بالبقاء في وطنه. كما يوظف الكاتب هذه التقنية أيضا في موضوع آخر من رواية الحال، عندما يؤصل لنا البطل أصلول زوجته نورة، المرأة الحديدية، التي يقول عنها أنها تتمتع بكثير من الصفات التي لا يمكلها حتى بعض المسؤولين السامين في هرم السلطة، عندما يعود بنا الراوي إلى زمن الثورة، ويخبرنا أن أب نورة"**لفظ أنفاسه الأخيرة تحت وطأة تعذيب المظليين، وابن مهيدي، ورفيقان،..كان ابن مهيدي ورفيقاه على أهبة الاستشهاد وهم يسترقون السمع من الثقبة الهوائية الصغيرة للتنفس..ترحموا عليه، وأعادوا القنبلة المهيأة للانفجار إلى وضعها الأمني**"[24]. فقد وظّف الكاتب هذه الإسترجاعات لتضفي طابعا خاصا على شخصية الرواية –نورة– بأنها جديرة بهذه الصفات لأنها ابنة شهيد رفيق دربه في النضال ابن مهيدي فلا غرابة أن تتمتع ابنة هذا الشهيد بهذه الصفات المتميزة.

الاستبـــــاق: هو مفارقة زمنية إلى جانب الاسترجاع، حيث يشتركان في كسر خطية الزمن، ويكون "عندما يعلن السرد مسبقا عما سيحدث قبل حدوثه"[25]، كما أنه يتميز بطابعه المستقبلي التنبئي و يتميز بضآلة حضوره في النصوص السردية المعاصرة، باستثناء ربما الكتابات السردية – السير الذاتية – ويشير جنيت إلى أن رواية "البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست (**Marcel Proust**)، تشكل النموذج المعاصر الأكثر استعمال لهذه التقنية السردية، كما يضيف أن أفضل النصوص السردية التي تملك قابلية تمثل الاستشراف هي النصوص المسرودة بضمير المتكلم[26]، بمعنى حكي شيء قبل وقوعه، أي قراءة في مستقبل النص أو أنها كل مفارقة سردية تهدف إلى الحديث عن حادثة مستقبلية أواستدعائها بصورة مسبقة، أي استباق حدث مستقبلي.

كانت رواية الحال أكثر ميلا إلى توظيف الاسترجاع، غير أن الكاتب استطاع توظيف تقنية الاستباق وجعلها دائمة الالتصاق بشخصياته البطلة – سمير، نورة، سارة – و وظف ذلك للإعلان عن طموحات وهموم شخصياته البطلة، وهو ما كان في افتتاحية الرواية في، حتى يجبر القارئ على مواصلة القراءة، لمعرفة هذه الإشارات التي أشار إليها، وهي تلميحات لمستقبل ما ستؤول إليه أحوال بعض الشخصيات أو بعض الأحداث مما يولد لدى القارئ عدة احتمالات وتصورات.

تبدأ الرواية باستباق عندما يذكر الكاتب على لسان الجني الذي مس البطل سمير، بان سمير الكاتب لا يستطيع الكتابة والتأليف بعد الآن باعتبار كاهنته سارة التي كانت تلهمه لم تعد كذلك بعدما قرر الجني خطفها: "**سنخطف سارة طوعا أو كرها... سيجف حبرك ولو كان يما ستنفذ كلماتك...**"[27]، لكن بطلنا لم يقبل هذا الوعيد ورد على تهديد الجني بعنف: "**لن تؤخذ سارة مني يا كلاب...لن تأخذوها، لن تأخذوها**"[28]، وأضاف بأنه لن يتخلى عنها "**ولو أدى الأمر إلى الإعلان عن حرب كونية ...**"[29] ،ومن خلال هذا المقطع يتكون عند القارئ شكل من أشكال الانتظار، ينتظر بشوق ما سيحدث في مستقبل الصفحات حول هذه الشخصية التي ستقام حرب كونية من أجلها، حيث يتطلع إلى معرفتها ومعرفة سر أهميتها بالنسبة للبطل .

كما استطاع أيضا الكاتب توظيف هذه التقنية عندما اتخذ الحوار وجهة يحصر فيها طموحات نورة في إرغام سمير زوجها على الاعتراف لها بالخيانة عندما حاورت زميلها سي البشير في هذا الموضوع:

- **بصراحة يا دكتورة، لزوجك سر مكين لا يستطيع أن يفصح به في عالم الشعور خوفا من أن ينعكس عليه بالأذى والضرر**
- **لم أفهم**
- **ما يلاحقه لا يمكن أن يفضي به لأكثر من واحد أو اثنين كأقصى حد .**
- **هناك أحد أجدر مني ثقة عنده ؟**
- **لا يعترف لك بالسهولة التي تتخيلين ستكونين أمام سمير يختلف اختلافا كليا عن سمير الذي عرفته منذ أزيد من عقدين**
- **سأحلبه حلبا، و إلا لست أنا نورة القبائلية، سأجعله صبيا يعترف لي بكل صغيرة و كبيرة ...**[30].

وبالإضافة إلى هذا وذاك، نجد أيضا في رواية الحال استباق جاء ضمن استرجاع، تطالعنا فيه نورة بأنها ستعيد سمير إلى بداية عهده بها حتى تتمكن منه، للاعتراف لها بالخيانة عندما تقول بكل ثقة لزميلها سي البشير وتطمئنه على ذلك : "**لا تخف على طبيبتك فلها أسلوبها ...سأتجرد من ...سأتحول إلى نورة الفتاة كما عرفها سمير لأول وهلة، سأعود بذاكرته إلى ذلك اليوم الذي تسلق فيه شجرة باسقة في الحرم الجامعي، يقال إن عمرها قرن ونيف ومسجلة في اليونسكو، ليفتن إحدى الطالبات منا فكنت أنا أول أو أسرع المفتونات بخفته ورشاقته وحلاوة حديثه ...**"[31]، لقد جاء الاستباق ليشعل فتيل الأحداث ثم يختفي تاركا أثره يسري ليصنع الحدث، غير أن الحوار والمنولوج هما الوسيلتان الرئيسيتان اللتان تجلى من خلالهما في رواية الحال

إيقـاع الســرد (زمـن الســرد): يعد الزمن من بين الانتظامات الأساسية التي تميز بين القصة والخطاب، فالجوهر الأساسي في الأحداث هو نظام وقوعها المنطقي والسببي لذلك فان المستوى الأول للقصة يخضع لنظام توالي الأحداث كما وقعت بالفعل، أما مستوى الخطاب فان ذكر الأحداث من قبل السارد[32]، فالأول يقاس كرونولوجيا بالساعات والأيام والشهور والسنوات، أما الثاني فيقاس بعدد الجمل والأسطر والصفحات، ذلك أن الراوي يستطيع أن يحكي حادثا استغرق دقائق محدودة في عدة صفحات أو مئات الصفحات، وقد يفعل العكس، يحكي ما حدث في سنوات في بضع جمل أو صفحات وباتالي "فإن مادة حكائية لاتستطيع أن تحقق كينونتها إلاّ عبر جريانها داخل الزمن في شكل سلسلة متوالية من الآنات المتسارعة أو المتباطئة أو المتراوحة بين التسارع والتباطؤ، وكأن الخطاب بهذا الترتيب الواعي للمادة الحكائية، يسقط شكلا هندسيا معقدا على خطّ مستقيم"[33]، فإيقاع السرد يتحدد من منظور السرديات بحسب وتيرة سرد الأحداث، من حيث درجة سرعتها أو بطئها، فتسريع السرد يتم بتوظيف تقنيات زمنية سردية أهمها الخلاصة(sommaire)، والحذف(Ellipse) وفي حالة البطء يتم توظيف تقنيات السردية مثل :المشهد (scène)، والوقف (Pause)[34]

تسريـع الســرد:

الخلاصـــة:Sommaire :وهو سرد أحداث ووقائع جرت في مدة طويلة،" فالخلاصة تختصر سنوات بأكملها في جملة واحدة "[35]، بمعنى أنها هي تلخيص أحداث قد تستغرق هذه الأحداث سنوات أو أشهر أو ساعات يختزلها الكاتب أو الراوي في أسطر أو جمل أو كلمات ومثاله في الرواية المدروسة، نحو قول سي البشير لنورة:"**تعلمين حلمي الكبير يا دكتورة،منذ عشرين سنة ونحن نعالج في الداخل وفي الخارج، أنفقنا كل ثروتنا على العلاج وبعد أن ... نعود الى الصفر، وأنا ابن الخمسين، وزوجتي سلخت الأربعين ... أليس هناك أمل ضئيل يمكن اعتماده طبيا في مثل هذه الوضعية**"[36]، لقد اختزل السرد في هذه الأسطر القليلة فترة طويلة من حياة الزوجين مدتها عشرون سنة قضاها الزوجان في العلاج من أجل أن يرزقا مولودا، عشرون سنة حافلة بالأحداث والتطورات، يلخصها الراوي في بضعة أسطر، ففي هذا المثال يحدد المدة الزمنية التي يغطيها التلخيص وهي عشرون سنة، بحيث لا يحتاج القارئ إلى تأويل أو تخمين مدى مدة الفترة الملخصة، حيث أن التلخيص المحدد لا يطرح مشكلا لأنه يعلن عن الفترة الزمنية الملخصة في السرد، في مقابل التلخيص الضمني الذي لايحدد المدة الزمنية للفترة التي قام السرد بتلخيصها، مما يدفع القارئ إلى ضرورة تخمين المدة الزمنية للتلخيص بشكل تقريبي، ومثاله في رواية الحال نحو:قول سارة لنورة عندما اعترفت لها بأنها منذ مدة تتبع أخبارها "**ولكنني ظللت أتتبع أخبارك التي بقيت سنوات لاتسرني... وعاما بعد عام تعودت عليها وفي النهاية أدركت أنكي تخطين خطوات عملاقة صوب طريق المجد**"[37]، وكذلك قولها عندما هاتفت سمير وقالت له:"**منذ سنوات خلت لم يكلم الواحد منا الآخر كأنك دفنتنا**"[38]، فالراوي في هذين المقطعين لم يكتف بتلخيص الماضي بل استطاع أن يجعل الخلاصات في علاقة سارة مع سمير و نورة ذات علاقة بالحاضر حيث سخر الماضي في خدمة الحاضر يخبرنا بحال الشخصية ويحاول الكاتب بواسطتها اختزال الزمن و تسريع السرد

الحــذف: (ellipse) فهو تقنية زمنية و"يعتبر وسيلة نموذجية لتسريع السرد عن طريق إلغاء الزمن الميت في القصة والقفز بالأحداث إلى الأمام بأقل إشارة أو بدونها"[39] أي هو حذف لفترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث وهو نوعان :الحذف المعلن[40]، الذي يحدد الفترة المحذوفة من زمن القصة بشكل صريح ومثاله في رواية الحال:"...**بقيت العجوز التي أصبحت في حالة يرثى لها تتخيل لمدة ستة أشهر و زيادة أن ولدها سيطرق في إحدى الليالي الشتوية باب دارها...**"[41]، يحذف السارد من زمنية السرد فترة ستة أشهر من غياب عمر لا يذكر عنها شيئا. – **والحذف الضمني**: فيه يسكت الكاتب عن المدة المحذوفة[42] بمعنى أنه لا يحدد المدة الزمنية للفترة المحذوفة فيترك للقارئ مهمة تخمينها وتقديرها وهو ما وظفه صاحب رواية الحال نحو إشارة سمير إلى مدة زواجه مع نورة "**إنها عشرة عمر أعرف نورة معرفة جيدة ومع ذلك في كل مرة نتصادم معها ربما لتعارض المصالح أو لاختلاف العقول**"[43]، فالكاتب من خلال هذا القول يبرر سلوكات البطل غير المتوافقة مع زوجته حتى لا يتساءل القارئ عن سبب عدم توافقها ويجد سببا لها ثم يتجنب أيضا التغييرات التي قد يحدثها السرد

تعطيــل الســرد : ينتج عن توظيف تقنيات زمنية تؤدي إلى إبطاء السرد وتعطيل وتيرته أهمها المشهد والوقفة[44].

المشهــد–Scéne: وهو المقطع الحواري، و"هو أحد أربع وسائل يلجأ إليها المبدع لكسر الرتابة في السرد النمطي، إلى جانب الحذف، والوقفة والتلخيص"[45] و"هو الذي يحقق تقابلا بين وحدة من زمن القصة ووحدة مشابهة من زمن الكتابة"[46] وهو يقوم أساسا على الحوار اللغوي الذي يتخلل المقاطع السردية[47]، أي أنه يكون في الحوار ويمثل اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد (الخطاب) مع زمن القصة من حيث مدة الاستغراق وهو " يمثل وقفة تجنب القارئ الإحساس بالضجر الناتج عن هيمنة السارد على إدارة الحكاية، والدفع به قدما باتجاه النهاية، مما يثير لديه بعض التشويق"[48]، فهو تقنية يوظفها الراوي ليشد بها انتباه القارئ ومواصلة القراءة، ومثاله هذا المشهد بين سمير وسي البشير، هذا الأخير الذي يذهب ليلا إلى منزل سمير ويطرق الباب عليه بحثا عن الدكتورة نورة، لأن زوجه على وشك الولادة :

- **من خارج الباب ؟**
- **سمير**
- **نعم من أنت**
- **سي البشير**
- **سي البشير؟**
- **أجل الدكتورة موجودة ؟**
- **بلى...**[49]

يقدم هذا المشهد حوار بين رجلين سمير زوج الدكتورة نورة وسي البشير الطبيب زميلها في المستشفى الذي جاء ليستنجد بنورة الطبيبة المختصة في توليد النساء فنلاحظ هنا أن السارد يتخلى عن الدور التنظيمي ويترك شخصياته تتبادل الحوار مباشرة، مما يجعل القارئ يعيش الحدث وكأنه يحدث أمامه.

الوقفـــة (**pause**):يتوقف السرد فيها وقتا معينا ليحل محله الوصف، "يكون فيها زمن الخطاب أطول من زمن القصة لأن الراوي يوقف السرد ويشتغل بوصف مكان ما أو شخصية روائية، وقد يقوم هو نفسه بذلك أو يسند المهمة لإحدى الشخصيات"[50]، بمعنى أن الوصف يتضمن انقطاع وتوقف السرد لفترة من الزمن، فتتوقف الأفعال لتحل محلها الأسماء والصفات. ومثاله في رواية الحال، نحو وصف سمير للصحراء الجزائرية " **بحار وهاجة، شمسها لافحة، وكثبانها المتوهة ظلمات بعضها فوق بعض، وربواتها الرملية المتصلة بعضها ببعض غير متمايزة، ريحها صرصر عاتية لن تجدي معها هذه النظارة الواقية من شمس الشمال الكسولة ....أقصى الجنوب بجوار مالي والنيجر أوحتى موريتانيا و ليبيا شرقا، القحط والجدب والحرمان يسود هذه القارة من الرمال**"[51]، يتضمن هذا المقطع كل مقومات الوقفة الوصفية بمجرد ظهوره في النص يوقف السرد ويعمل على إبطاء وتيرته وإيقاعه، بحيث أن السارد يوقف السرد ويشرع في الوصف، ثم يعود لاستئناف سرد القصة بعد انتهائه من الوقفة الوصفية فالسارد يرصد من خلال هذا الوصف خصائص الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف كأنها قارة ووصف ظروفها الطبيعية القاسية التي لا تساعد على العيش فيها، وكأنه يستميل القارئ ليتعاطف مع البطل– سمير– في منع زوجته نورة من العمل في الصحراء، من ناحية ومن ناحية أخرى فهو يعبر عن واقع لمنطقة شاسعة من الدولة الجزائرية لم تنل نصيبها من التنمية، كونها منطقة قحط وحرمان وجدب، وهي صفات توحي بانعدام الحياة فيها، فهو بذلك–الكاتب– ينتقد تقصير الدولة في تنمية هذه المنطقة، لعدم بعث المشاريع التنموية بها، وعدم توفير متطلبات الحياة الضرورية لأبناء هذه المنطقة من البلاد، فهي وقفة وَصَفَ من خلالها الكاتب واقع ونقده في آن واحد.

الهوامش:

[1] مختار ملاس، تجربة الزمن في الرواية العربية، رجال في الشمس نموذجا، دار موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص:22

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004، ص: 37

[3] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة تطبيقية، دار الأفاق، ط1، الجزائر، 1999، ص:39

[4] مختار ملاس، تجربة الزمن في الرواية العربية، ص:14

[5] عبدالعالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مقاربة نظرية، دار الأمنية، المغرب، 2000، ص: 141

[6] مختار ملاس، تجربة الزمن في الرواية العربية، ص:21

[7] بنية الخطاب الروائي، دراسة في رواية نجيب الكيلاني، ص:41

[8] عبد القادر بن سالم،مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الجديد،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص:76

[9] ينظر، حميد لحميداني،بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط3، 2000، ص:73

[10] ينظر، المرجع نفسه، 74

[11] ينظر، محمد بوعزة، تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2000، ص ص: 88-89

[12] ينظر، الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص:122

[13] ينظر، المرجع نفسه، ص:113

[14] عبد الجليل مرتاض، رواية، دموع وشموع، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص:05

[15] المصدر نفسه، ص: 14

[16] ينظر، الرواية، ص ص: 12-13

[17] الرواية، ص: 15

[18] الرواية، ص: 15

[19] الرواية، ص: 15

[20] ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، دراسة، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص: 103

[21] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص:58

[22] الرواية، ص:55

[23] الرّاية، ص: 55

[24] الرواية، ص: 61

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص: 89

[26] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، ص:133

[27] الرواية، ص: 13

[28] الرواية، ص:13

[29] الرواية، ص: 13

[30] الرواية، ص: 14

[31] الرواية، ص: 72

[32] الرواية، ص: 72

[33] ينظر، عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص ص: 90-91

[34] مختار ملاس، تجربة الزمن في الرواية العربية، ص ص: 22-23

[35] ينظر، محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص: 92- وينظر، الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص:155

[36] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص: 100

[37] الرواية، ص: 66

[38] الرواية، ص: 79

[39] الرواية، ص: 50

[40] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص: 167

[41] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص: 94

[42] الرواية، ص: 41

[43] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص: 168

[44] الرواية، ص: 26

[45] ينظر، محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص: 94

[46] ينظر، ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، ص:121

[47] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي،ط1، 1990، بيروت، ص: 166

[48] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص: 172

[49] ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، ص:121

[50] الرواية، ص:65

[51] الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص:177

[52] الرواية، ص: 30